BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

منتدى الحوار

Dialogue Forum

(DF)

تجربتي في الصحافـــة المصريـــة

جابر عصفور :

يسعدني أن أقدم أخي وصديقي الأستاذ منير عامر، والأستاذ منير عامر لمن لا يعرفه – ولا أظن أن هناك من لا يعرفه – قد عمل بالصحافة لفترة طويلة، يكفيه أنه أدرك العهد الناصري والعهد الساداتي ولا يزال باقيًا مستقيمًا كالرمح في العهد المباركي وأرجو أن يستمر كذلك. والأستاذ منير عامر من خريجي المدرسة العباسية الثانوية الشهيرة في الإسكندرية، وقد حاول منذ بداية عمله الصحفي أن يستوعب المشهد السكندري، وهو بحق خير رسول للإسكندرية في أوساط القاهرة ومجالاتها الثقافية. وقد اقترحت عليه أن يحدثنا بصراحة مطلقة عن تجربته في الصحافة المصرية، فلا شك أن رجلاً قد عمل في الصحافة كل هذه السنوات لديه الكثير الذي يُحكى والذي ينبغي أن نعرفه، ولحسن الحظ أنه تولى أخيرًا مسؤولية رئاسة تحرير مجلة "فنون مصرية"، وهي في تقديري وبدون أدنى مبالغة أرقى مجلة فنون قد صدرت في مصر إلى اليوم، وأرجو أن يختم حديثه عن تجربته الصحفية بتجربته في مجال الفنون. ولا أريد أن أستطرد في الكلام، فاسمحوا لي أن أترككم وإياه لكي نستمتع معًا بحديثه الذي لا أشك لحظةً في أنه سيكون حديثًا مفيدًا وممتعًا.

منير عامر:

أنا أحد المتصوفين ولي شيوخ متعددين، والشيوخ يفرضون صحبة، والصحبة ليست مجرد وجود في المكان، ولكن تعانق وتلاقي الأفكار، وأسعدني الحظ منذ ثلاث سنوات أن تكون صحبتي اليومية مع مجمَع من العلم الإنساني الراقي هو الدكتور جابر عصفور. وقد كنت أعاتبه منذ قليل بأنه كلما أصدر كتابًا في مشروع الترجمة أشعر أنه يعيد تأليفي من جديد، وكلما قرأت كتابًا أسأل نفسي عما ينقصني وعما يجعلني لا أعرف أكثر، وآخرها كان كتابًا عن أهل مطروح، وأعتقد أن مؤسس قسم

الأنثروبولوجيا هنا في جامعة الإسكندرية الأستاذ الدكتور أحمد أبو زيد أعطى اللمحة الأولى له لكنها لم تنفذه فنفذته الجامعة الأمريكية في القاهرة. ولو رحت أشرح لكم فضل الدكتور جابر عصفور فلن أستطيع أن أعد ولا أن أحصي لأن ما يحدث في مشروع الترجمة كنت أظن أنه سيُستقبل في حالة من الفرح، لكن مثلما أردد دائمًا لصديقي العميد متقاعد محمد الجمل أننا منذ الفترة من ٥ إلى ١٠ يونية عام ١٩٦٧ نسينا فنَّ الفرح، حتى عندما جاءنا نصر ٦ أكتوبر شعرنا بقليل من الشجن ولا نعرف حتى الآن أي لص سرق منَّا الإحساس بالفرح وهرب !

وعن تجربتي في الصحافة المصرية أقول إن هناك في الطب النفسي مفهومًا أعتقد بصدقه يسمى "النبوءة الذاتية"، فبداخل الشريط الوراثي لكل منَّا خريطة مستقبله وهو يقرؤه بالكامل. وأنا أذكر أنني قررت أن أكون كاتبًا ولكن دارس للكيمياء وأنا طالب في المدرسة العباسية الثانوية التي نُقلت إليها من مدرسة محرم بك الخاصة لكوني مشاغبـــًا، وقد كنت أحب الكيمياء حبًّا جمًّا إلا أنني كنت أرسب في الرياضيات، في نفس الوقت كنت أكتب، وفُتحت لي أبواب دراسة النفس البشرية عبر الجليل الكريم الراحل الأستاذ الدكتور سعد جلال وهو أحد المجددين في علم النفس والذي طلبت منه جامعة ستانفورد المكوث بها إلا أنه قرر أن يسدد ديْن طه حسين الذي أرسله إلى ستانفورد والذي كان قد طلب منه أن يعود لتعليم الفقراء مثلما فعل هو، ولمجرد أن الدكتور طه حسين وضع الدكتور سعد جلال في نفس مكانته فقد أثار ذلك إحساسًا غير معتاد بضرورة سداد الديْن، وللأسف الشديد عندما عاد، كان قد تولى التعليم في مصر السيد كمال الدين حسين فدهسه ودهمه كما دُهم ودُهس العشرات على الرغم من أنه في مواقف أخرى كان لكمال الدين حسين الفضل الكبير، لدرجة أنني لم أعد أعرف من هم الذين أضافوا بإيجابية أو أثروا بسلبية في التعلم ومن هم المنفتحون ومن هم المنغلقون في مناخ البشر الذين تولوا قيادة مصر، وحتى الآن لا أستطيع أن أرصد ذلك بدقة ولا أن أعرف ما أسبابه.

قررت أن أكون كاتبًا عندما كان عمري ١٤ سنة، وهنا في الإسكندرية كان يوجد شاطئ اسمه "شاطئ ميامي" أرجو أن يكون باقيًا كما هو وأن يكون بنفس النضارة التي كان عليها سنة ١٩٥٧، وعلى هذا الشاطئ كانت توجد كابينة لإحسان عبد القدوس وكانت منارة ولم تكن مجرد كابينة بل كانت حالة ثقافية، ولا أنسى أنه بمجرد ما أذن لي بالتدريب في "صباح الخير" كان يقدمني إلى ضيوفه قائلاً "زميلي منير عامر" وفي هذا الوقت لم أكن أبلغ من العمر سوى ١٧ سنة ! هذه هي الحالة من الثقة والاحترام التي قدمها لنا جيل أظل أسدد ديونه أبد الآبدين وللأجيال التي ستليني وأحمد الله أنني أجيد تسديد الديون. وقد ترجمت ذلك بشكل مباشر عندما قررت اعتزال السلك الإداري الصحفي وعمري

لم يتجاوز ٣٤ سنة حيث توليت التدريب في روز اليوسف، وكذلك الأجيال الموجودة في صحف المعارضة وفي صحف التأييد الذين شاركت في تدريبهم، ولا أزعم إنني أستاذهم، إلا أنني حملت شمعة ودخلت بها في قلب كل واحد منهم ليقرأ نبوءته الذاتية مثلما قرأت أنا نبوءتي الذاتية ومثلما علمني أساتذتي بداية من إحسان عبد القدوس، ومرورًا بمن كان يقرأ أفكاري بشكل مباشر أحمد بهاء الدين، وتوقفًا أمام قارئ خريطة المستقبل حتى اللحظة التي نحن فيها الآن فتحي غانم، وأنا أتعجب كيف لا تُقام دراسات سياسية على روايته الأخيرة"صاحبة العصمة وسعادة السفير والشيوعي السابق" التي من الممكن أن تقرؤوا فيها اغتيال السفير المصري في بغداد، ومن الممكن أن تقرؤوا فيها ١١ سبتمبر ومن الممكن أن تقرؤوا فيها عن شخص اسمه عدنان خاشقجي هو نقطة التواصل بين المخابرات المركزية الأمريكية والموساد والجماعات الإسلامية، وكان الأستاذ فتحي غانم يكتبها في أيامه الأخيرة، وطالما سألته عن سبب كتابتها بهذه السرعة رغبةً مني في قراءتها بأنفاس هادئة فيرد قائلاً بأنه عندما يكون لدى الشخص وصية ونبوءة لا يكون لديه وقت لتهدئة السرعة، وللأسف فقد طبع الدكتور سمير سرحان عددًا قليلاً للغاية من نسخ هذه الرواية في مكتبة الأسرة، وأنا ألح على الدكتور جابر عصفور بالبحث عن وسيلة لأن نأتي بجهد هذا الأديب الكبير وننشره، مع العلم أن الدكتور جابر عصفور هو الذي شرح لي أدب فتحي غانم وذلك في مقدمة كتبها لرواية فتحي غانم "تلك الأيام" والتي صدرت في مكتبة الأسرة.

فهؤلاء الأساتذة الكبار كانوا يتيحون لنا الفرصة، وأنا أذكر لفتحي غانم سؤاله لي في يوم من الأيام "إنت سيدك مين؟" ففكرت وقلت له إنني هارب من أية عبودية أيا كانت، فقال لي إن كل كاتب في الدنيا يختار له سيدًا، فإما أن يكون سيده القارئ الواحد الذي يسعى إليه كل الكُتَّاب ممثلاً في شخص رئيس الجمهورية، أو أن يكون سيده القارئ المعتاد الذي يعمل عنده أي رئيس جمهورية وأي محافظ وأي وزير، فأجبته إن سيدي هو القارئ المعتاد، فسألني إذا ما كنت سأقدر على ذلك، فأجبته بأنني سأحاول، وأعتقد أنني حاولت ومازلت أحاول. فعندما نختار القارئ المعتاد كسيد نجد أنفسنا في مسافة وحوار في الوقت ذاته مع السلطة القائمة، وأنا لا أعرف كيف ولست عضوًا في تنظيمات، لكنني أعرف كيف أكون صديقًا للأحلام وناقدًا للواقع. وكل تجارب التنظيمات السرية سواء شيوعية أو تنظيمات دولة، كان لي شرف أن الطرفين وثقوا بي ودعوني، وكان ردي الدائم عليهم أن هذه لعبة لا أعرفها، وكنت أقول للشيوعيين إنني أقرب من يفتـــن ! وإن الحالة التي أعيشها لا بد أن أتحدث عنها، أما عن تنظيمات الدولة فقد كنت أقول لهم دومًا إنهم لا يحتاجونني ومازلت أذكر صديقًا لي اسمه السيد محمد زغلول كامل أعطاه الله العمر والصحة وكان يعمل مسؤول مكافحة التجسس لصالح إسرائيل وكان يقود كل العمليات مع أو ضد، أنه دعاني أكثر من مرة من أجل الثورة، فكنت أرد عليه قائلاً أية ثورة؟ إن هذه

الثورة لم تفرض سيادة، فلا يوجد ثوارٌ سادة، وإنما هناك شعب قَبِل منكم فكرة الثورة، فأنتم تخدمونه ولكنكم لا تتسودون عليه. ومن تاريخ ٢٠ يونية ١٩٥٩ مكثت في القاهرة حتى أكون صحفيًّا، ومن هذا التاريخ وحتى تاريخ ٢٠ يونية ١٩٦٧ مشوار ليس بطويل ويُقدر بنحو ثماني سنوات، إلا أنه في يوم ٢٠ يونية ١٩٦٧ كنت أقف أنا والسيد محمد زغلول كامل في الإسماعيلية لنقيم معسكرًا للشاردين أو العساكر الذين عبروا سيناء وهم لا يعرفون المهمة التي أُرسلوا للمشاركة فيها، وعندما انكسروا لم يكن هناك أحد في استقبالهم، وكانت هذه من أقسى التجارب، فذات مرة عندما انفتح صنبور المياه في معسكر الاستقبال الذي حاولنا إقامته رأيت من ينبطح أرضًا وعندما سألته عن سبب هذا الفعل أخبرني أن صوت صنبور المياه المفتوح يشبه صوت الطائرة لحظة هبوطها !

وبين هذين التاريخين، لا بد أن أقف عند ١٥ أغسطس ١٩٦٤، فالمصريون الذين نراهم متنافرين ومتشاجرين حتى يصل الأمر بالبعض إلى القتل بسبب أشياء تافهة، هؤلاء رأيتهم في أسوان في أثناء بناء السد العالي، حيث رأيت البشر وكأنهم موسيقى وتتابع للألوان، وهذا ليس شعرًا، فمازالت بقع الضوء وحركة الجرارات وحركة العربات وأصوات التفجير تكاد تكون سيمفونية لونية جميلة جدًّا من الإبداع البشري، وأذكر بالخير أنني في هذا اليوم قابلت رجلاً اسمه المهندس محمد صدقي سليمان تعلمت منه الكثير فيما يخص فكرة العمل الجماعي، وفي مساء هذا اليوم ١٥ أغسطس في الحادية عشرة مساءً، سقط أحد العمال الذي كان يقود أحد الجرارات الصغيرة ناقلاً بعض الأشياء من مكان إلى آخر مغشيًّا عليه، فنقله المهندس محمد صدقي سليمان وحل بنفسه محله سائقًا للجرار، فسألته إذا ما كان يفعل ذلك حتى أكتب عنه، فأجابني وهل كل هؤلاء يعملون حتى تكتب أنت ؟! بل إنهم يعملون حتى تُلهَم، وهناك فرق بين الاثنين. و لم أكن أعرف حتى يومها أن هناك علاقةً بين العمران والفلسفة، على الرغم من أنني كنت أدعي لنفسي أنني دارس فلسفة وقارئ فلسفة، عرفت ماذا تعني منظومة العمل الجماعي من شخص مثل المهندس محمد صدقي سليمان.

عندما حدثني الدكتور جابر عصفور أنني سأتحدث عن تجربتي الصحفية، قلت إنني أسهل من يفضح نفسه ! فإذا أحببت كتبت على رؤوس الأشهاد أنني أحببت، وإذا مرض ابني آخذه كنموذج لأبناء الشعب المصري، وبالتالي حياتي أمامي كتاب مفتوح أقرؤه أنا ويقرؤه غيري، ولكن هناك نقاط لابد من أن أوضحها لسيدي القارئ المعتاد. ويقول الدكتور جابر عصفور إن الكلام المطبوع ثلاثة أنواع شيء عشته أو شيء عشته وقرأت مثله أو شيء قرأته فقط، فما عشته من الممكن أن يكون تجربة متوهجة دون أن تكون قرأت عنه ويوسف إدريس خير نموذج لذلك، أما ما عشته وقرأت مثله فقد وصل هذا لدرجة غير معتادة من الإبداع ولدينا هنا نموذجان هما نجيب محفوظ وفتحي غانم، أو ما قرأته فقط وهؤلاء كثيرون، ولا أعرف

كيف يعتذر لهم الدكتور جابر عصفور لكنني لا أعرف أن أعتذر لأحد حتى أقطع دابر هؤلاء منذ البداية، فالدكتور جابر عصفور رجل لديه ذوق وحريص على الجانب الإنساني، أما أنا فحريص على ألا يُضاف للكتابة أي كاتب ! وإنما يكون الكاتب كاتبًا حقيقيًّا، مثلما أطلب أن يكونَ الرسام رسامًا حقيقيًّا، و أن يكون المؤلف الموسيقي مؤلفًا حقيقيًّا، ومن لا يعرف حقيقة نفسه فليس له مكان ! عندما يقرأ أستاذنا حامد عويس قسوتي على يغرِّبون في التشكيل دون أن تكون لهم جذور في التجسيد، بخلاف من يعرفون أن يضعوا قلوبهم مع عيون البسطاء ويأخذوهم إلى ما يرقى بهم إلى آفاق المدارس المعاصرة في الفن على أن يكون كل شيء صادرًا من القلب. وفي الحقيقة، كلما أرى حامد عويس أشعر بأنني مدين بالاعتذار، لأنه في فترة من الفترات كنت معجبًا للغاية بسيف وانلي، وكنت أنظر لأعمال الأستاذ حامد عويس وأشعر أن هناك شيئًا يخصني دون أن أعرف ما هو بالضبط، لكن وضح لي صديقي وحبيبي ورفيق أيامي الفنان الراحل الجميل كمال خليفة الذي قال لي إن حامد عويس رسام حضارة، وإن سيف وانلي وقف على شاطئ البحر وأطل إلى ما بعد المتوسط وحاول أن ينقل بعض ما يشاهده هناك، لكن الحضارة هنا، وأنا لم أكن أفهم ما معنى رسام حضارة، فقد كان ذلك سنة ١٩٦٤ حين كنت أبلغ من العمر ٢٤ عامًا. بمرور الأيام وبنضج الخبرة، عندما أنظر اليوم إلى أي لوحة من أعمال حامد عويس مرسومة من٤٠ أو ٥٠ سنة أشعر أنها تحملنا على جناحها لكي تعيد ترتيبنا وتعيد إلينا أنفسنا مرة أخرى بدون شوائب. وإذا مكثنا أمام لوحة للعظيم سيف وانلي نتساءل ما إذا كانت هذه اللوحة مزورة أو حقيقية، لأنه كان يشوبه دائمًا لا أقول سهولة تقليد الآخرين له، وإنما صعوبة وصوله إلى الحكمة المستحيلة في فنه الخاص، وهذه الحكمة مسائل شديدة الحساسية وبديهية جدًّا ولا يصلها إلا الفنان الحق.

إن تجربتي مع الصحافة لها ذكريات مع الأستاذ الكبير صلاح عبد الصبور، فقد أتيح لي بحكم صلتي بكبار القادة في مصر أن أحصل على مذكرات بن جوريون يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ وجلست لقراءتها، ولأنه أحيانًا عندما نكون صغارًا في السن نكون بدائيين وسُّذَجًا ونرتكب من الحماقات ما يستدعي الاعتراف بها والاعتراف بأصحاب الفضل الذين فسروها لنا. فقد وجدت أن بن جوريون عندما اعتزل الحكم ذهب للمكوث في صحراء النقب لتربية الأغنام وجزِّ صوف الأغنام وغزله وبيعه والعيش من ريعه لأنه لا يريد أن يكلف دولة إسرائيل أموالاً! وقد تعلم اللغة الإسبانية لأنه قرأ "دون كيشوت" في ترجمتها الإنجليزية وفي ترجمتها الفرنسية و لم تعجبه وقرر أن يقرأها في نصها الأصلي، وقد كتبت ساخرًا حول هذا الموضوع وكان موعد صدور عدد روز اليوسف تقريبًا ما بين ٢٩ مايو و٢ يونية ، فناداني الأستاذ صلاح عبد الصبور عن طريق التليفون، وكان يعمل وقتها في دار الكاتب تحت قيادة الدكتورة سهير القلماوي، وسألني ما هذا الذي تفعله؟ فقلت له إنني قد قرأت مذكرات الرجل و لم تعجبني، فرد عليّ قائلاً ألا يعجبك

فيه أنه تعلم لغة لكي يقرأ نصًّا، وألا يعجبك فيه أن الدولة التي أنشأها يرفض أن يأكل على حساب سكانها؟! كيف يحدث هذا يا أستاذ منير؟ فلم أجبه لأنني شعرت بالخجل، وجاءت ٥ يونية لتجيب نيابة عني أو لتعاتبني أكثر من عتاب صلاح عبد الصبور. وقد ترجم الدكتور جابر عصفور "دون كيشوت" ترجمةً أكثر سلاسةً من ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، وأعتقد أنه يذكر فرحتي بها بشكل غير مألوف، وأنا أتمنى لو أراها في كل مكتبة، وأتمنى لو يُعقد لها أكثر من حوار، لأنها تكاد تكون بانوراما لما في داخل الإنسان ولما في خارجه، حتى في عصرنا الذي يُقال عنه أنه عصر صدام الحضارات وأنا أسميه عصر الإصرار على عدم الفهم المتبادل.

لا أستطيع أن أوفي فضل صلاح عبد الصبور ولا فتحي غانم ولا محمود السعدني على مسيرتي في الكتابة والصحافة، والكاتب محمود السعدني الكاتب الساخر هو قارئ من غير حدود، وأنا أتعجب كيف استطاع هذا الرجل الذي يمضي ليله ساهرًا بين مقاهي القاهرة وشوارعها أن يجد وقتًا لقراءة تاريخ مصر بإبداع غير مسبوق وبتبسيط غير مألوف للناس المعتادين. وأنا أدين لأستاذنا فتحي غانم بقوله لي أي شيء تكتبه اكتبه ثلاث مرات، وعندما سألته عن ذلك أجابني أن المرة الأولى هي الدفقة الفنية فأنت تقول كل ما تود قوله، والمرة الثانية لتتساءل كيف قرر مزاجك أن تقدم الشكل الفني للفكرة، والمرة الثالثة هي للقارئ الذي دفع جنيهًا أو اثنين لشراء المجلة وصادفه الحظ لتقع عينه على مقالتك، وبعد قراءته لها يجب أن يتغير، يجب أن تُحدث مقالتك فيه تغييرًا يحسه، وأنا بحق مدين للأستاذ فتحي غانم على هذه النصيحة وهو كان يفعل ذلك وهو رجل يقوم بتنفيذ ما يقوله، فهو لم يكن يقول ذلك مناقضًا لما يفعل ولا عن ثقة في نفسه أنه فوق مستوى تنفيذ ما يشرحه للآخرين.

وهناك مشهد يحضرني أحيانًا، ففي إحدى المرات خرجت الصحف بحادث من حوادث الإقطاع في بلد تعرض أحد زعماء الفلاحين فيه للاغتيال، وهناك من كان يسمى الصاغ رياض وكان مسؤول المباحث العسكرية، وكان معه في هذا الوقت تفويض لأن يقيم محاكمة ميدانية، وأهل العسكرية يعرفون أن المحاكمة العسكرية عبارة عن ثلاثة ضباط وضابط ممثل الاتهام وما يقولونه يُنفَّذ، و لم يشكَّل هذا الصاغ هذه المحكمة، وإنما وضع أربعة وعشرين عسكريًّا في دائرة وبين العسكري والآخر متران، وأي عسكري يعتقله في هذه الدائرة يضربه بالعصا ويطلب منه الاعتراف، فكان العسكري يرد "أقسم بجمال عبد الناصر إنني لا أعرف، قولوا لي ما تريدون مني قوله وأنا سأقوله" ! هذا مشهد. مشهد آخر، سيدة مجنونة زوجة لمن قُتل من الفلاحين، وكان عليها أن تعمل في أرض هذا الإقطاعي التي كانت مسماه بأرض المصلحة – كما كانت تسمى أراضي كبار المُلاك في مصر – فرضوا على هذه السيدة أن تخرج في اليوم التالي لولادتها لتجمع

القطن، فخرجت وبكى طفلها فذهبت لترضعه تحت شجرة توت، فرآها صاحب الإقطاع فأخذ منها الطفل ودهس رأسه بقدمه فمات الطفل، فأصيبت المرأة الجنون وماتت منذ ثلاثة أشهر فقط في مستشفى الأمراض العقلية.

أسرة أخرى وهي الأسرة التي سلمت عبد الله النديم للسلطات، وهذه الأسرة موجودة بجوار المنصورة، وكانت تقوم بإقراض الفلاحين الجنيه الواحد بأربعة جنيهات! أكثر من الربا بقليل، ومثلما سلموا خلاصة الحلم المكتوب المسمى عبد الله النديم مثلما حاولوا أن يذبحوا مستقبل البعض، فاستنجد هؤلاء بإحسان عبد القدوس الذي كان عندما يكلِّف محررًا بعمل صعب يناديه ويعطيه بدل سفر خمسين جنيهًا — وقد كان هذا مبلغًا ضخمًا في هذا الزمان (سبتمبر ١٩٦٣) إذا علمتم أن الإقامة في فندق محترم وقتها كانت لا تتكلف في الليلة الواحدة أكثر من ١٦٠ قرشًا ! — ويطلب منه أن يتذكر دومًا أنه يحمل اسم مؤسسة روز اليوسف فلا محافظ يدعوه على فنجان من القهوة ولا يقبل دعوة من أي أحد، وأنه عليه أن يقوم بمهمته على أكمل وجه وأن يعود وقتما ينتهي من عمله وأنه إذا احتاج شيئًا وهو في مهمته هذه فليتصل بالجريدة فورًا لتوفير ما يلزم. وبناء على ذلك كان لدينا إحساس بالرسالة والشعور بأننا نقوم بعمل كبير. وقد وجدت من سلم للسلطات عبد الله النديم، وكتبت الموضوع، وحدثني شخص في التليفون قال لي إنه منير حافظ وعندما سألته عن شخصيته قال لي أنا مدير مكتب جمال عبد الناصر، فقلت له وماذا يريد الرئيس عبد الناصر من منير عامر؟ وطلبت منه أن يتصل برئيس التحرير، وبالفعل ناداني رئيس التحرير وهو يبتسم ويقول لي إنه فُرضت حراسة ومصادرة على هذه الأسرة التي كانت تقرض بالربا مع العلم أنهم كانوا يحتمون بنفوذ أن لهم بنتًا متزوجة من قائد الحراسة الخاصة بعبد الحكيم عامر. وقد جاءني أحدهم بعد فرض الحراسة عليهم مصطحبًا ابنته وتساءل كيف يكفيها اثنان أو ثلاثة جنيهات في الشهر من الحراسة، وفي نفس القرية كنت قد رأيت طفلة في نفس عمرها لم تأكل لمدة ثلاثة أيام ! وكنت أسمع عن الجوع لكنني لم أعشه، لكنني رأيته على وجوه أطفال كانوا يأكلون مياهًا ساخنة في بيوت ليس فيها طعام أصلاً. وتساءلت من الذي جعل هذه الفتاة في جوع والفتاة الأخرى تعاني من الحراسة وكيف نحل مشكلة هذه وتلك؟ تظل الأسئلة قائمة ويظل الواحد منَّا باحثًا عن وطن، لكنني عندما أرى مقارنة بين الحركة العامة في مجتمع مثل المجتمع المصري وهو المجتمع الذي لا نمل طوال الوقت من تكرار أنه يبلغ من العمر عدة آلاف من السنين، وبين التجمعات الاستيطانية الإسرائيلية، نجد أنه من حق أي يهودي في العالم أن يرفع سماعة التليفون إذا رغب في العيش في هذه التجمعات الاستيطانية وما عليه إلا أن يقول لهم إنه قادم فيجد الجنسية والبيت والمعلم والطبيب وثلاثة أشهر على أرض لم يعِش فيها من قبل وفيها من القوانين العامة التي تحمل البشر من رؤوسهم كمغناطيس وتحركهم دون أن تلمس أقدامهم الأرض !

وصلت إلى سن التقاعد وأنا أبلغ من العمر ستين عامًا مثل جميع الناس، وشعرت يومها أنه عليّ أن أتفحص الأحصنة السبعة التي بداخلي مثلما علمني أستاذايّ سعد جلال وصلاح عبد الصبور، فكل منَّا بداخله سبعة أحصنة تمثّل سبعة مراحل في عمره من الطفولة وحتى الشيخوخة، وعادةً ما يتوقف الإنسان عند السبعين إلا من وهبه الله حكمة إدارة الأحصنة السبعة حتى يمكنه أن يولد من جديد من خلال ما ينتج ويبدع، وقد وصلت إلى سن الستين وقد قررت أن أعترف بحيرتي، وأتساءل هل أديت ما عليّ؟ فتأتيني الإجابة التي تلح عليّ في المقدمة ذات الحد الفاصل بشكل واضح والتي كتبها الدكتور جابر عصفور لرواية "تلك الأيام"، فأستاذ الجامعة سالم يقول له أستاذ التاريخ الذي كان يدرِّس له في باريس إنه يعيش في مجتمع فيه كل الحقيقة هي الطريق إلى المقصلة ونصف الحقيقة هي الطريق إلى الرقي والمناصب. وأشهد الله أنني قررت الاستقالة من رحلة البحث عن أي منصب بعد ما جاءني خبر استشهاد الطيار عماد الدين ذو الفقار في التدريب لحرب أكتوبر، وقد قلت لنفسي لا أعرف متى سيأتي الموت واخترت أن أقضي وقتي مع أولادي وألا أكون مسؤولاً عن أي شيء على الإطلاق، حتى طُلب مني تدريب الصحفيين. وأشهد الله أنني حاولت أن أقول الحقيقة في أدق اللحظات، وقد كان الدكتور جابر عصفور شاهدًا في الليلة الأخيرة لصلاح عبد الصبور، وفي الليلة التي سبقتها كنت أنا شاهدًا في مكتب وزير الدولة لرئاسة الجمهورية منصور حسن والذي كنت مستشارًا له، وقال لي يومها إنه لن يستطيع أن ينام قبل أن يشهد صلاح عبد الصبور موجودًا في أحد الاجتماعات، وكان هذا الاجتماع تحضره هيئات متعددة لإسقاط الجنسية عن عدد من المصريين الذين يهاجمون الرئيس السادات، فذهبت لإحضار صلاح عبد الصبور من بيته، وقد قال لهم جملة ظريفة للغاية، وهي أن هناك خلطًا بين شخص الرئيس وشخصية الوطن، فالسادات من الممكن أن يشعر بمغص مثلاً لكن مصر لن تشعر بمغص، فهو قبضة من ترابها وسيتحول إلى قبضة من ترابها، وأنه ليس هناك أخطر من إسقاط الجنسية عن أي شخص وهذا أمر مرفوض، فلستم مضطرين مثلاً لإسقاط الجنسية عن جلال كشك لكن ممكن أيضًا القبض عليه بتهمة التدليس لأنه مدلِّس، ولا يمكن أن تسقطوا الجنسية عن محمود السعدني لأنه مكروه، وأخذ يفند حِجَجَهُمْ، ومع ذلك وجد من يعاتبه ويقتله بكلمة بعدها بثماني وأربعين ساعة فقط.

شاهدت قدرًا من المواقف شديدة الخصوصية في هذا الوطن، فقد رأيت مثلاً في يوم من الأيام عثمان أحمد عثمان يقف في التليفزيون المصري ويجري حديثًا مع طارق حبيب، نقد خلاله ما فات، وادعى بطولات أعلم أنا يقينًا من خلال رجل أمين ومحترم اسمه أمين هويدي أن هذا الكلام الذي يقوله لا محل له من الإعراب، فسألتني السيدة تماضر توفيق عما تفعل فسألتها عما تفعل عندما يكون عندها تسجيل لا تريد من أحد أن يسمعه، فأجابتني إما أن أقوم بعمل مونتاج له وإما أن أتركه ينبح، فاستفسرت عما تقصد بأن

تتركه ينبح فأجابت بأنها تتركه يفتح فمه ويغلقه دون أن يظهر صوته، وفي ذروة مجد المهندس عثمان أحمد عثمان كتبت قرارًا على مسؤوليتي بأن نجعل عثمان أحمد عثمان ينبح، فقالت لي السيدة تماضر توفيق بأنها من الممكن أن تفصلني بهذه الورقة فقلت لها أرجوكِ أن تفعلي! والشريط موجود ومحذوف منه بالفعل صوت المهندس عثمان أحمد عثمان في حواره مع الأستاذ طارق حبيب. و لم تكن هذه بطولة بقدر ما كانت النظر إلى الواقع بعدم القدرة على غشه وبمحاولة الاقتراب من الحقيقة، لأنني لم أرَ الحقيقة الكاملة ولا أحد يملكها ولكنني لم أتاجر بنصف الحقيقة حتى أصل إلى أي مكانة.

وعندما كُلفت بمسؤولية رئاسة تحرير مجلة "فنون مصرية"، كلفني بها الفنان فاروق حسني، قلت له أنا لا أصلح لمنصب رئاسة التحرير فقال لي أنت على المعاش ومتفرغ وتستطيع أن تنجزها، وحاولت ذلك، ولولا الصحبة في دار الدكتور جابر عصفور الشهيرة باسمها العلني "المجلس الأعلى للثقافة"، هذه الصحبة التي تتيح لي دفئًا عاطفيًّا لما قبلت، والحمد لله أنه ليس بيني وبين المجلس الأعلى للثقافة صاغ ولا تعريفة ولا طلب تفرُّغ، والحمد لله أشعر بدرجة من الصحبة والصحبة تقتضي دائمًا أن يعيد صديقك مرة أخرى تأليفك وترتيبك، والدكتور جابر عصفور أحد القادرين على ذلك بقدرة غير مألوفة ببساطة ومودة وله قدرة على أن يضع يده على المثالب دون أن يشعر الشخص بالخجل ولا للحظة واحدة. وأنا أقوم بالعمل في هذه المجلة بطريقة انتحارية، أجلس للعمل مع فنانين وأقابل رجلاً جميلاً مثل حامد عويس، وقد تساءلت كثيرًا كم في مصر من هو بقيمة هذا الرجل، وطالما تمنيت أن يرى أهل القاهرة معرضًا للفنان حامد عويس، فاتصلت باللواء محسن شعلان رئيس قطاع المعارض في وزارة الثقافة وتحدثت مع الفنان فاروق حسني وطلبت منه أن يتوسط في عمل معرض للفنان حامد عويس. وفي الحقيقة، أنكم لو رأيتم لوحة "كليوباترا" المعروضة عام ١٩٥٠، فسترون أنفسكم مثلما أشعر الآن أنني أرى اللوحة وأنا أراكم، ونادرًا ما نجد فنانًا يرسم لوحة تبقى في الأذهان إلى هذا الحد وطوال الوقت، وأتمنى أن يكون هناك قاعة دائمة في مكتبة الإسكندرية لعرض أعمال حامد عويس.

حقيقة، أنا لا أقوم بمسؤولية الإشراف على مجلة "فنون مصرية" كطريقة لقضاء وقت فراغ، وإنما امتنانًا لابن الإسكندرية العظيمة عبد الله النديم الذي لم تأتِ سيرته ولا حتى مرة واحدة، والذي قال إنه ساعة ما تنكسر منَّا الأحلام، فلابد ألا نسمح للروح أن تنكسر، ونستمر فيما نقوم به من عمل بطريقة نضمن بها الاستمرار. وقد قررت أن أتحدث عن العمارة والتي لا أقصد بها أعمال المقاولة وإنما أقصد بها فلسفة الحياة، وعن الآثار وهي الحوار المتواصل بيننا وبين المستقبل، وبالنسبة للفن التشكيلي فقد تحدثت عنه من خلال الفنانين الكبار من أمثال حامد عويس والذي أشعر كلما رأيته أنني إنسان جديد، وتحدثت كذلك عن الموسيقى وأنا أرى أن أيَّ كلام في الدنيا لا توجد فيه الموسيقى كطريقة لوصوله للمستمع يُعتبر كلامًا لا

معنى له. وهناك رواية مترجمة في المشروع القومي للترجمة اسمها "لعبة الحجلة" لكاتب من أمريكا اللاتينية، وفصولها ليست أكثر من كلام، فإن لم يُبعث هذا الكلام بداخلك وأنت تقرأه إيقاعًا وتناسقًا وتضادًا، ويصل بك إلى حالة غير التي كنت عليها قبل قراءته، فكل الكلام مجرد كلام.

جابر عصفور:

نحن نشكر الأستاذ منير عامر، وأنا شخصيًّا متشوق لأن أسمع المزيد، وأعتقد أن الأسئلة التي ستقدمونها سوف تستفزه ليقدم لنا المزيد.

سعد مهلل محمد (مدرس اللغة العربية ومشرف النشاط الثقافي في مدرسة الرمل الثانوية للبنين وعضو جمعية أصدقاء المكتبة):

على الرغم من ثراء اللغة العربية بألفاظها ومفرداتها، إلا أنني أجد نفسي عاجزًا عن أن أعبر عما يجيش في نفسي ويعتمل في قلبي تجاه تشريف الأستاذ منير عامر في مكتبة الإسكندرية ونحن نشكره ونشكر الدكتور جابر عصفور. ليسمح لي الأستاذ منير عامر أن أقطف وردة من بستانه الجميل ألا وهي عبارة "سيدك مين؟"، ولعل تلك العبارة تطابق اليوم ما نُشر في جريدة "أخبار اليوم" اليوم في الصفحة الأولى حيث نشر كاتب صحفي فاضل كلمة شكر عن رئيس مجلس الإدارة السابق لها الأستاذ إبراهيم سعدة، وعلى النقيض في الصفحة الأخيرة نقد لاذع له في عامود الأستاذ أنور وجدي "هذا رأيي"، وما أود أن أشير إليه أن أي مسؤول كان في منصب ما وترك هذا المنصب في مجتمعنا المصري بصفة عامة وفي الصحافة بصفة خاصة، أتساءل لماذا نوجه سهامًا ونقدًا شديدًا لأي مسؤول بعد نزوله عن جواده؟ لماذا لا نوجه هذا النقد للمسؤول في أثناء توليه المنصب.

منير عامر:

أود أن أوضح أولاً أن أنور وجدي هو اسم مستعار لإبراهيم سعدة نفسه، إلا أنني أتمنى أن يحدث ما تقول، لكن دائمًا عندما أسمع هذا الكلام أتذكر ما قاله خروشوف عندما سأله أحدهم لماذا لم ينقد ستالين؟ فرد قائلاً أنا لم أكن أملك الشجاعة ولا كنت أملك ذلك لأنه كان من المعروف أن سيبيريا موجود وأن المقصلة موجودة! وتنوعت أشكال سيبيريا وتنوعت أشكال المقصلة. وهناك كاتب موهوب قد يحب الشخص أن يقرأ له ولا يحب أن يجلس معه اسمه محمود عوض، هذا الكاتب تم نفيه. وهذه هي المشكلة في كل التغيرات الصحفية، وسأحكي لكم تجربة مع أخي الدكتور جابر عصفور، حدثت وقت

أن كان مبنى المجلس الأعلى للثقافة مثل خلية النحل في غمار الإعداد لمؤتمر الرواية وكنت أنا مجرد الشاهد المراقب المشارك، وجاء أحد تلاميذ الدكتور جابر عصفور ممن يعملون في المجلس مقدمًا استقالته في أعقاب تكاسله عن العمل، ثم بعد ذلك جاء فاعتذر، و لم يكن دخوله في دوامة العمل مرة أخرى سهلاً، لكن عندما جاءته الفرصة ليثبت فيها جدارته في العمل لم يكن قد تم نفيه، والسؤال هو كيف تنظر إلى قدرات من تعمل معهم بتقبل كامل، وإنه من الممكن أن تتيح لهم أن يعودوا مرة أخرى إلى نسيج فريق العمل. لكن ما يحدث أحيانًا في الصحف المصرية وفي السياسة وفي الأحزاب أن ننتهج سلوكًا مختلفًا، وكنا نضحك قديمًا من كلام أستاذنا صبري أبو المجد رحمة الله عليه حين كان كل صباح في أثناء دخوله دار الهلال يقول :"عليّ الطلاق لأكتبها من الغلاف إلى الغلاف ولا أترك لأحد آخر فرصة الكتابة !"، وكان لديه مساعد اسمه أحمد أبو كف، وبالفعل كان يمكث هو ومساعده يكتبان "المصور" ويطبعان منها آلاف النسخ التي يعود معظمها بدون بيع، وعندما رأى الرئيس السادات هذا الوضع، عين مكانه الأستاذ مكرم محمد أحمد. فنحن خبراء إبادة قدرات بعضنا البعض، وهذه ليست سمة جديدة في هذا العهد، وإنما هي موجودة منذ زمن بعيد، ولعلكم لاحظتم أنني أشرت إلى أنني تعلمت العمل الجماعي والتواضع أمام العمال الصغار من رجل اسمه المهندس صدقي سليمان.

وفي مجلة "فنون مصرية" التي أرأس تحريرها، أضع بيانات المجلة في نهاية العدد بخط صغير، وقد سألني البعض لماذا لا أضعها في بداية العدد بخط كبير، فقلت إننا نعمل خدمًا عند القارئ، نقدم له أولاً مواد المجلة ثم نقدم له أنفسنا وله أن يقبلنا أو أن يرفضنا، وأنا لا أدعي لنفسي الفضل بل لقد تعلمت ذلك من أساتذة، فنحن خبراء إبادة وبالتالي نخسر، فنحن نجد شارون ونيتانياهو وباراك لا يقبل أحدهم الآخر على الإطلاق، ومع ذلك يتواضعون جميعًا أمام فكرة إسرائيل. وأعود لأقول إنه من العبث أن ينتحل اسم شخص آخر لكي ينقد نفسه قبل أن ينقده أحد، فهذا خلل في الإجراءات العقلية !

جابر عصفور:

لقد تأكدت اليوم فقط أن الأستاذ سعد مهلل محمد رجل طيب للغاية وبرئ للغاية ولا أريد أن أقول ساذج، وأنا أنصحه بتعلم بعض الخبث واللؤم وأن يعيد قراءة مقال أنور وجدي مرة أخرى، وسوف يكتشف انه لا يسب رئيس التحرير، وإنما يسب آخرين، فالمقال ليس بريئًا على الإطلاق، ومليئ بالغمز واللمز.

عبد الفتاح متولي:

لا شك أن الصحافة رسالة كما نعرف وإنها ليست وظيفةً، وأنا أود أن أعرفَ لماذا لا تتناول الصحافة قضايانا الحيوية التي يعيشها المواطن المصري يوميًّا، ونحن نقول ذلك منذ خمسين عامًا، فالصحافة شريان رئيسي وهي من أهم وسائل الثقافة والاتصال المباشر بكل شرائح المجتمع، ومن الممكن أن تتناول في كاريكاتير أو في صفحة فنية ما قل ودل. وحديث الأستاذ منير عامر جميل للغاية لأن به لمحةً تؤكد أنه من الممكن أن ننقد بكاريكاتير بسيط مثل أحمد رجب، لكنني أتعجب لماذا نتحدث عن كرة القدم أكثر من اللازم؟ وأنا لست ضد الرياضة وأنا أؤمن أنه لابد أن نعلم أولادنا الرماية والسباحة وركوب الخيل ونعلمهم أيضًا الكرة الطائرة والكونغ فو وكل أنواع الرياضة، إلا أنه لا يوجد تناغمٌ والشيء الذي يزيد عن حده ينقلب إلى ضده، ولا يصح أن نتكلم عن الكرة صباحًا وظهرًا وعصرًا ومساءًا، ونثور ونصيح كأن يأجوج ومأجوج خرجوا وكأن الدابة التي تكلم الناس خرجت وكأن المسيخ الدجال الأعور ظهر وكأن الشمس طلعت من الغرب !! فأنا أتعجب من كرة القدم هذه ! لكنني متأكد أن الكرة تم تسييسها لإلهاء الناس، وأنا لا أؤيد ذلك، فلا يجب إلهاء الناس عن المشكلات اليومية من بطالة ومن محاربة الفقر ومن سرقة المليارات ومن ارتفاع الأسعار ومن كل تفاصيل حياتنا التي نعيشها، فلماذا لا نتناول هذه الأمور؟

منير عامر:

أنا أحييك لأنك تتحدث عن الكرة المستديرة التي تلف استدارتها عكس اتجاه الكرة الأرضية وعكس اتجاه الساعة ! وتنفق على الكرة المصرية الآن مؤسسة الإلهاء القومي المسماة فودافون مرة وموبينيل مرة ثانية، و التي نعطيها كل شهر أظن أربعة مليار جنيه مصري ! وهناك سؤالان مهمان جدًّا، وأعتقد أنه في فرصة الكتابة المتاحة لي في أحد أبواب مجلة "صباح الخير" ذكرت أن ما خرج من مصر يُقدَّر بحوالي ١٢٠ مليار جنيهًا مصريًّا منذ عام ١٩٨٢، وادخرنا ٢٠ مليار فقط ! وعندما تُلحق بالاقتصاد العالمي، فلا نسمي هذا تهريبًا، وإنما ذهبت الأموال لتُستثمر في مكان آخر، وعندما يكون الاقتصاد محليًّا والحدود مغلقة على سكانها ففي هذه اللحظة نقول إن هذا تهريب، والسؤال هو هل أموالنا وثرواتنا وإمكاناتنا تكفينا أم لا؟ والإجابة بالقطع إنها تكفينا، إذًا، لماذا لا نجلس لإدارة معاركنا بالمبدأ البسيط الذي ذكره نابليون بونابرت وهو إن الجيوش تتقدم بسرعة أبطأ شخص فيها؟ وأنا أقول إن المجتمعات تتقدم بسرعة أبطأ شخص فيها.

عبد المحسن كُميل (أستاذ بكلية الزراعة – جامعة الإسكندرية) :

لقد أسعدنا الأستاذ منير عامر، وأود أن أقول إن إحساسه بالكتابة اختلف بعد سن الستين، ولأنه أصلاً كان يحب الكيمياء، فقد حدث نوع من الكيمياء الجميلة المتميزة بينه وبين الصحافة بعد سن الستين. في الحقيقة، لقد أعجبتني صراحة الأستاذ منير عامر وعزيمته، وأنه ضرب مثالا جيد للشباب في الأخلاق والسلوك الطيب الذي يجب أن يتحلى به كلٌّ منَّا في هذه الأيام، أما سؤالي للأستاذ منير عامر فهو عن عبارة قالها وهي "عصر عدم الفهم المتبادل" وأنا لا أفهم ما معناها على الرغم من أننا الآن في عصر السماء المفتوحة والعولمة؟ وأسأله كذلك ماذا يقول في هذا العصر لشبابنا من واقع خبرة ست وأربعين سنة من العمل الصحفي ليحتذيَ هذا الشباب به كمثال، مثلما يذكر هو دومًا باعتزاز أساتذته؟ وأتمنى أن تكون هناك انعكاسات طيبة على شبابنا من واقع ذلك.

منير عامر:

بخصوص عصر عدم الفهم المتبادل هو عندما يخرج علينا قائلاً إن ما حدث في العراق ديمقراطية ! فبماذا نفسر سرقة البترول؟ وإذا لم نسمي ذلك سرقة فبماذا نسميه؟

متحدث لم يذكر اسمه:

من الممكن أن نسميـــَهُ سطوًا مسلحًا.

منير عامر:

يا ليتنا نستطيع تسميته سطوًا مسلحًا، فإنه يفوق ذلك، فما بالنا إذا عرفنا أن هؤلاء يصدرون لنا طوال الوقت أعلى كمية إعلانات لتحويل مجتمعات بأكملها إلى حيوانات مستهلكة، وأن يضعوا سياجًا حول من يتنبه للعبة الاستهلاك هذه مثل الصين مثلاً في صورة سور وعقبات، ولا نستطيع نحن سكان الكرة الأرضية على الرغم من وجود السماوات المفتوحة أن نفهم بعضنا البعض، ولا أعرف كم منكم التفت إلى خبر دخول الصين إلى بورصة نيويورك وقررت أن تشتري شركة بترول، وشركة البترول هذه في حدود ما أعلم كانت تصرف قبل ذلك على طالبان، وبعد أن انتهى وضع طالبان، كانت قد أنفقت على قرضاي ومولت جزءًا من الحرب على أفغانستان، واجتمعت يومها هيئة الأمن القومي الأمريكي وأعلنت رفضها لبيع الشركة، وإذا كانت الشركة تتكلف نحو ١٢ مليار دولار فإن الصين كانت قد عرضت ١٨ مليار دولار ثمنا لشرائها، ومع ذلك صمم الأمريكيون على عدم بيع الشركة.

طبعًا، إذا كان حدث ذلك هنا في مصر وأُعلن رفض بيع شركة معينة، لخرجت أصوات تشجب وتعلن عودة عصر التأميم، وأنا أقول لهم إننا في حاجة إلى أن نبني بيوتًا فلابد من أن يكون الحديد والأسمنت بين أيدينا، صورة مصر المعمارية أصبحت عشوائيات، ٨٠% من القاهرة أصبح مباني عشوائية، وهذا الكلام ليس كلامي وإنما هو كلام صلاح مرعي مهندس الديكور الذي اشترى صورة مسح جوي لعاصمة مصرية جليلة لها دور.

أصبح عصر الفهم المتبادل موجودًا ومنتشرًا بشكل غير مألوف، ومطلوب أن نناقش أنفسنا لكن على شرط ألا يظل كل منَّا حاملاً سيف الإدانة للآخر، إنما يجب عليه أن يعطيَ له مساحةً لكي يفهمه وينجز له ما يريد، وأنا أنصح دومًا: تحدث مع الآخرين بعد أن تسدد ما لهم عندك.

محمد الجمل:

يحضرني موقف خاص مع الأستاذ منير عامر، فقد كنت ملازمًا أول في القاهرة، وكنا عائدين من حرب ١٩٥٦، فالتقيت بالأستاذ منير عامر وكان أخي له نشاط أدبي وصحفي، فجمعتنا شقة كان إيجارها ٣ جنيهات، وقد بُهرت بشخصيته من ضمن ٥ أو ٦ أشخاص عُزاب. كنا نعيش معًا، وعلى الرغم من أنه يصغرني سنًا، إلا أنني فوجئت بشاب متحمس أتى إلى القاهرة وهو ربما لا يعرف كم من النقود في جيبه، ومصمم على أن يكون كاتبًا وصحفيًّا بجدية تامة، وكان قد ترك منـــزله في الإسكندرية وأتى إلى القاهرة، وقد رأيت منه حماسًا منقطع النظير، فقد كان في نظري شابًا يعرف هدفه جيدًا وهو ومؤمن به وعنده النية لتحقيقه، وفعلاً أثبت أنه حقق هدفه، فهذه شخصيته بالفعل. وفي الحقيقة، فقد تأثرت به ككاتب للغاية، وتأثرت بتعبيراته ولغته فأحببت الكتابة، فبعد أن خرجت على المعاش في عام ١٩٧٥، جربت الكتابة وكان أحد الملهمين لي هو الأستاذ منير عامر، وقد اجتهدت في الكتابة الأدبية من رواية ومسرحية وقصة قدر ما استطعت وحسب الموهبة والقدرات.

والسؤال الذي أود أن أوجهه للأستاذ منير عامر هو بخصوص الصحافة، فقد مررنا بثلاث مراحل – إذا كنت مصيبًا في هذا التقسيم – فقد كان لدينا صحافة تعبويَّة وكانت موجودة في الحقبة الناصرية وهي الصحافة المحتشدة لمشروعٍ مطروح وكل شيء معبأ لخدمة هذا المشروع، وفي الحقبة الساداتية، نستطيع أن نقول إن الصحافة أصبحت صحافة الاقتراب من الحرية على استحياء، بعد ذلك تأتي الحقبة الحالية التي نعيشها والتي أقول عنها إنها صحافة حرية في غياب موقف أو مشروع، بمعنى أنها صحافة خبر ومعلومة، وهذه وجهة نظر أرجو أن أتلقى من الأستاذ منير عامر ردًا عليها.

منير عامر:

في الواقع، إنني أجتهد كل صباح في البحث حتى عن خبر في الجرائد المصرية فلا أجد !!

محمد الجمل:

أود أيضًا أن أقول إن أعمدة ومقالات الرأي لا تندرج تحت صفة المشروع ولا الموقف، وإنما هي انتقاد لوضع جزئي، حتى الصحافة الحزبية تفتقر إلى الموقف، والمقصود بالموقف الرؤية الشاملة ومشروعات الغد. كما أود أن أشير إلى أن الصحافة القومية حتى مع التغيير الذي حدث مؤخرًا تُعد صحافة تعبويَّة، فلا رأي لها ولا موقف. ولا أعتقد أن رؤساء الصحف الجدد سوف يضيفون شيئًا أو يغيرون شيئًا، وتظل الأسئلة أين المثل الأعلى للصحافة؟ وأين المواقف؟ وأين الصحافة التي نصدقها؟ من الممكن أن نقول إن الصحف المستقلة تجتهد في هذا المجال اجتهادًا كبيرًا للغاية، لكن من الممكن أيضًا أن تعدِّل من نفسها حتى تكون الصورة أكثر موضوعية.

منير عامر:

أشكر الأستاذ محمد الجمل على أنه قام بتوصيف ثلاث مراحل للصحافة أعجز أنا عن توصيفها، لكن في الحقبة الناصرية لم تكن الصحافة حشدًا فقط، فهناك حوار منشور مع العبقري العظيم نجيب محفوظ في عام ١٩٦٨، وكنا متجهين بعد الحوار بسبعة أيام إلى المؤتمر الوطني، وقيل في هذا الحوار أن كلَّ من سيذهب إلى المؤتمر الوطني متهم بالولاء للوظيفة وخيانة الوطن إلى أن يثبت العكس، وكان هذا كلام نجيب محفوظ، وقد أخذ الرقيب كمال صقر يعارض هذا الحوار الذي كان يجريه الأستاذ نجيب محفوظ معي، إلا أنه تم نشره ولم تكن هناك أية نتيجة لهذا النشر، فلم نكن إذًا تعبويين، إنما وقتما كنا نحب أن نقول كنا نقول، لكن الإشكال الأساسي يتمثل في طلب يُقدَّم إلى القارئ لكي يشتري المجلة المكتوب فيها هذا الكلام.

وأود هنا في هذا السياق أن أذكر ما فعله الدكتور جابر عصفور في المشهد الأخير من معرض الكتاب عندما استطاع الحصول على عشرة ملايين من الجنيهات كدعمٍ للمشروع القومي للترجمة من السيد الرئيس شخصيًّا، فلا أحد يجبر أحدًا على أن يطأطئَ رأسه لا في الحقبة الناصرية ولا في الحقبة الساداتية ولا في الحقبة المباركية، إنما كلٌ يختار سيـــِّده، وحتى الصحافة الحزبية التي تقول عليها وحالة التشنج التي تعيشها، لن تخلق وعيًا ولا يقظة، ولا حالة الاستنفار للتأييد ستخلق تأييدًا لأن كل ذلك ليس فعلاً، لكنني أتمنى مثلك أن يكون هناك مشروع قوميّ.

جابر عصفور:

إن الصحافة عندما تكون مملوكة للحكومة لا يمكن أن تكون حرة في يوم من الأيام، فهذا مستحيل، بدليل أننا لو قارننا بين ما يُسمى بالصحافة القومية والصحافة غير القومية فسنجد الفرق واضحًا للغاية، فكيف يمكن لصحفي في صحيفة قومية أن ينتقد وزيرًا للإعلام؟ هذا مستحيل، كيف يمكن لصحفي في جريدة قومية أن ينتقد وضعًا قائمًا يبدأ وينتهي برئيس الجمهورية؟ هذا مستحيل، كيف يمكن لصحفي أن ينتقد رئيس التحرير نفسه؟ هذا مستحيل، والحل ألا تكون الصحافة مملوكة للدولة، إلا أنه في النهاية فالصحافة مِلك من يمولها، وفي انحلترا الذي يملك الصحيفة يتدخل في توجيه صوتها، لكن هناك فرق كبير بين تمويل من حكومة لا تريد أن تسمع سوى صدى صوتها ووجهات حرة مستعدة أن تتقبل الرأي المختلف. وهل تعرفون على سبيل المثال أن الـــBBC البريطانية من حقها أن تنتقد الحكومة البريطانية وأنها وقفت مواقف ضد هذه الحكومة؟ وفي عام ١٩٥٦، أيام الاعتداء البريطاني على مصر مع العدوان الثلاثي كانت الـــBBC ضد الحكومة البريطانية في ذلك الوقت. فإذا توفر لدينا هذا النوع من الصحافة وهذا النوع من أجهزة الإعلام سيحدث ذلك عندنا فرقًا واضحًا جدًّا، ومن الممكن وقتها أن نتقدم ونهجر ما نعاني منه الآن.

سعيد حسن:

لي بعض البرقيات السريعة للأستاذ منير عامر، عندي ملاحظة عامة تاريخية، فقد قال الأستاذ منير عامر إنه أحد المتصوفين، فأرجو إلغاء هذه الكلمة من أية استعمالات لأقواله مستقبلاً لأننا نعلم من هم المتصوفون تاريخيًّا ومدى إساءتهم للشريعة الإسلامية والدين الإسلامي.

أسأل في أي صحيفة يكتب الأستاذ منير عامر بخلاف مجلة "روز اليوسف"؟ أيضًا، وكنت أود معرفة كيفية ملكية واستقلال الصحافة المصرية والحكومية منها بالذات بعيدًا عن الهيمنة والرقابة من السلطة التنفيذية؟ وما مدى التشابه بين الأستاذ منير عامر وبين الأستاذ الصحفي إسماعيل النقيب والصحفي الأستاذ محمود السعدني؟

كذلك، لقد تهجم الأستاذ منير عامر واستخف بالصحافة المصرية وقال إنه عند قراءته لها لا يجد خبرًا، فما المقصود بالخبر؟ أرجو التوضيح، فكل هذه الكتابات والقراءات وكل هؤلاء الصحفيين أهدرهم الأستاذ منير عامر وضرب بهم عُرض الحائط، ألا يوجد في مصر غير الأستاذ منير عامر؟ أرجو أن تعلمنا ما الخبر ونحن لسنا متخصصين في الصحافة.

منير عامر:

الخبر قصة قصيرة حدثت في الواقع، وكل يوم أبحث في قائمة الأخبار عن القصة القصيرة التي حدثت في الواقع، وشقيقنا وصديقنا رئيس اتحاد الكُتاب قد كتب مقالاً في جريدة "الوفد"أرجو أن تكون قد وقعت تحت عينيك، وعندما تقرؤها ستستطيع أن تعرف مدى تدهورِنَا مهنيًّا وكيف نهمل صنعة الخبر، وهذه المقالة مكتوبة بشكل مبسط للقارئ وللصحفيين أيضًا، وهي درس شديد في المهنة.

وأنا لم أقل إن منير عامر هو الصحفي الوحيد في مصر، بل أنني أتهم نفسي بعدم القدرة على الفهم، دون أن ألغي الآخرين، بل إنني حتى لا أستطيع أن أفعل ذلك.

كذلك، مادمت أشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فليس من حقك أبدًا على الإطلاق أن تحدد لي كيف أعبر عن ذلك، فأنا أعبر عن إيماني كما أريد، وإلا أصبحنا وهابيين، وأنا من أعماق قلبي أرى كيفية إلغاء عقول البشر وطباعتهم باسم الطاعة والدين والخضوع إلى ما وُرِّث من أهل الشريعة وليس من التشريع نفسه.

عمومًا، فإن درجة حرارتك قد نقلتني إلى درجة من التوتر ألغت بها أسئلتك من عقلي، فأنت لم تنقل رسالة إليّ و لم تحملني بمهمة، ونحن هنا أندادٌ، فأنا لست تلميذًا عندك ولا أنت تلميذ لي، فنحن هنا أخوة نلتقي على الحوار لا لنرفع الضغط عند بعضنا البعض.

جابر عصفور:

نشكر الأستاذ منير عامر على هذا الرد الجميل، إلا أنني أود أن أوضح أننا في منتدى الحوار معتادون على الحرية في الحوار، والأستاذ سعيد حسن بالتأكيد لا يقصد بل هو حسن النية وهو مشارك ناشط ودائم في منتدى الحوار.

كذلك، فأنا أود لو أتدخل إجابة على الأستاذ سعيد حسن في جزئية ما يعنيه الخبر، فنحن لو قارننا جهازنا الإعلامي كلَّه إذاعة وتليفزيون وصحافةً بالأجهزة الإعلامية لدول عربية بدأت بعدنا بوقت طويل، لاكتشفنا إلى أي مدى نحن متخلفون، هل يا ترى لدينا نشرة أخبار مثل التي تنجزها قنوات مثل الجزيرة أو أبو ظبي أو دبي؟ أشك، يا ترى هل عندنا متابعة مثلما نرى في هذه القنوات؟ أشك، فأنا أشاهد التليفزيون مثلكم، ناهيك عن البرامج المذاعة باللغة الإنجليزية على الـــBBC مثلاً، فهناك برنامج على هذه القناة اسمه Hard Talk بمعنى كلام صريح أو كلام صعب إذا ترجمنا العنوان حرفيًّا، أتمنى أن يكون لدينا مثله، إنما أشك.

نأتي للصحافة، هل عندنا جريدة عربية في مستوى "الحياة" أو "الشرق الأوسط"؟ لا أظن، فبدلاً من أن نطلق الكلام على عواهنه نسأل: ما الذي يجعل الإعلام المصري على هذا النحو من التدني؟ السبب هو أنه ليس إعلاماً وإنما هو أجهزة إعلان، وهناك فارق رهيب بينهما، فالإعلان يُستخدم استخدامًا سياسيـــًا بالمعنى المباشر والفِج، لكن الإعلام يُقصد به تقديم الحقيقة والمعرفة سواء أعجبت الحكومة أو لم تعجبها، هذا هو الفرق الأساسي، ونحن للأسف ليس لدينا إعلام وإنما لدينا إعلان بالمعنى الأيديولوجي الضيق والمحدود.

ممدوح بدر:

لحسن حظي، منذ نحو خمسة أيام كنت في مبنى جريدة "الأهرام" أحضر ندوة، وكل ما جاء بها تأكيد لما جاء في حديث الدكتور جابر عصفور من أننا نمارس الإعلان وليس الإعلام، ومن جانبي كمواطن مصري يهتم بالاقتصاد والصناعة، أتابع من يكتبون عن نشاطات الوزارات المختلفة أقول إنه لا يوجد خبر ولا نقد في مقالاتهم. وأنا مع الأستاذ منير عامر وأحمله رسالة وطنية في كيفية تعميق التواصل لبناء الشخصية المصرية، فنحن كأصحاب خبرات – خصوصًا من هم أكثر من ستين عامًا – وأنا أيضًا كنت في مدرسة محرم بك والعباسية الثانوية، وأرجو رجاءً كبيرًا أن نبحث عن أصحاب الخبرات كيف نوجد وكيف نبتكر، فالجيل الجديد تنقصه التجارب التاريخية التي عشناها، فجيلنا هو الذي صنع مصر الحديثة وليس عالم الإلكترونيات الحديثة، ومن واقع هذه الثروات القومية أرجو أن يُكمل جيلنا المسيرة وعلى الباقي أن يتعلموا، أرجو أن نسير ونبني ولا نيأس. وكلمة أخيرة، لقد تحولت أنا من باحث علمي إلى كاتب ثم توقفت، لأنني خشيت أن أكون زجَّالاً ساخرًا.

فريد الجبالي (كيميائي وكاتب ورسام):

أنا أيضًا كنت في مدرسة العباسية الثانوية وخريج كلية العلوم جامعة الإسكندرية، أود لو أرد على الحديث الأخير بأنني كنت أعيش في المهجر الأمريكي في نيويورك، وفي لحظة وقعت في يدي قصة كتبها الأستاذ منير عامر عن حياة أهل نيويورك والمعاناة التي يعيشها أهل المدينة الكبيرة في العمل، وبالفعل كما يقول الأستاذ منير عامر أنه عندما نقرأ مادة جيدة فإننا نتغير، وحتى الآن مازلت أذكر هذه القصة العظيمة، وأنا سعيد وفخور بأنني أستمع إلى كاتبها، وأنني من خلال متابعتي لمجلتي "روز اليوسف" و"صباح الخير" تحولت من مجرد هاوٍ إلى محترف حيث أصدرت جريدة في المهجر، وحاليًا أقوم بعمل جريدة بين المهجر الأمريكي وبين مصر، وفي الحقيقة أنا أحيي الأستاذ منير عامر وأقدره. وعندي سؤال

من حق الأستاذ منير عامر الرد عليه ومن حقه أيضًا عدم الرد عليه، وهو أن عنده وفاء عظيم لصلاح عبد الصبور، وبخصوص موضوع إسقاط الجنسية الذي رفضه صلاح عبد الصبور أسأله هل كان يخاف مثلي على سقوط الجنسية عن الوطن؟ فالأحداث الآن تتجه إلى إسقاط الجنسية عن مصر، وتحدث أشياء لا نقبلها، وتحدث تنازلات من مصر لإسرائيل مثل الكويز والتطبيع وغيرها، أرجو أن تتاح للأستاذ منير عامر الفرصة لكي يرد على هذه الجزئية.

منير عامر:

ليس هربًا من الحديث، لكن عندما جاءت الكويز وقلت إن الإسرائيليين سوف يبيعون للمصريين الإحدى عشرة وثلث في المائة بألف وثلاثمائة في المائة، وهذا هو ما حدث فعلاً، وحوارك مع الآخر تفرضه عليك شروط عالمية، والسؤال هو كم أنت منـــتبه لإرادتك؟ وكيف ستقيس ثروتك حتى تنمي نفسك؟ وهذا سؤال ليس للحكومة فقط، وإنما هو سؤال لك ولي وللموجودين جميعًا. واعذرني في أن أقول لك أنني مازلت متأكدًا من أن كل شعب يستحق حكومته، ونحن مقدمون في الفترة القادمة على شفافية الصندوق، ففكروا بعقولكم واختاروا بعقولكم.

جابر عصفور:

أظن أنه بعد هذه الإجابة الذكية، يحق لنا أن نحيـــّيَ الأستاذ منير عامر على شجاعته وعلى تشريفه في منتدى الحوار.